

المقاصد الجزئية: ضوابطها، حجيتها، وظائفها، وأثرها في الاستدلال الفقهي*

جميلة تلوت**

تمهيد

عرف القرن السابق صحوةً مقاصديةً مشهودة، حيث صارت المقاصدُ موضوعاً للبحث والنظر، خصوصاً مع تنامي الرغبة بتأسيس " " دعا إلى ذلك العلامة محمد الطاهر بن عاشور¹، فبرزت الدراسات التي رامت بحث المقاصد في شكل نظرية أبرزها أحمد الريسوني: "نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي"²، ثم تتالت بعد ذلك البحوث التي تغيّت بحث نظرية المقاصد عند الأئمة الذين عرفوا بفقههم المقاصديّ نحو الجويني³

* المقاصد الجزئية: ضوابطها، حجيتها، وظائفها، أثرها في الاستدلال الفقهي

(: 1 2015) 712

— المغرب، البريد الإلكتروني:

** باحثة في الفكر الإسلامي وعضو مركز

jamila.tilout19@gmail.com

¹ : "فنحن إذا أردنا أن ندوّن أصولاً قطعية للتفقه في الدين حق علينا أن نعلم إلى مسائل أصول الفقه المتعارفة، وأن نعيد ذوقها في بوتقة التدوين، ونعيّرها بمعيار النظر والنقد، فننفي عنها الأجزاء الغريبة التي غلثت بها، ونضع فيها أشرف معادن مدارك الفقه والنظر، ثم نعيد صوغ ذلك العلم ونسميه " " . :- ابن عاشور، محمد الطاهر مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة (: وزارة الأوقاف 2004) 22.

² الريسوني، أحمد نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي (: 2 2003).

³ مقاصد الشريعة عند إمام الحرمين وأثرها في التصرفات المالية (: 1 2010).

الغزالي¹ ² أو غيرهم، ويندرج في هذا الصدد تلکم الدراسات التي عنيت بمقارنة الفقه المقاصدي بين إمامين أو أكثر⁴ دراسات تنادي بتجديد الدرس المقاصدي وعدم الاكتفاء بما ذكره المتقدمون، حتى ملائمةً للعصر ومنخرطة في أسئلته وإشكالاته وهمومه⁵، وتجدد الإشارة إلى أن دعوات التجديد متباينة، حيث اتّحدت الدعوة إلى التجديد مع تباين المقاصد من تجديد المقاصد؛ فهناك من يقصد بالتجديد تفعيل الشريعة وهناك من يرمي إلى تعطيلها. حث والنظر كانت هناك دراسات أخرى تدعو إلى بدل الاكتفاء بتشقيق مباحثها والتنظير لها، فظهرت كتابات تهدف إلى تفعيل المقاصد في شتى أبواب الفقه، ومن هنا نرى أن الدرس المقاصدي عرف نضجاً كبيراً في التنظير والتأصيل من حيث الجملة لا التفصيل، التي اهتمت بآليات التفعيل وفقه التنزيل.

وفي هذا السياق يأتي كتاب الدكتور وصفي عاشور أبو زيد الموسوم بـ "الجزئي: ضوابطها، حجيتها، وظائفها، وأثرها في الاستدلال الفقهي" دكتوراه نوقشت سنة 2011 في قسم الشريعة الإسلامية،

¹ نحو كتاب: عبدو، محمد الفكر المقاصدي عند الإمام الغزالي (بيروت: 1 2009).

² حمد مقاصد الشريعة عند ابن تيمية (: دار النفائس، ط 1 2000).

³ الحسني، إسماعيل نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور (: 1 1995).

⁴ فقه المقاصد بين العز بن عبد السلام وأبي إسحاق الشاطبي: دراسة مقارنة (: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط 1 2014).

⁵ من أبرز الدراسات في هذا الصدد. مج مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة (بيروت: دار الغرب 1 2006).

⁶ عطية، جمال الدين نحو تفعيل مقاصد الشريعة (: 1 2001).

حازت على مرتبة الشرف الأولى،
 أحمد الريسوني، ود. محمد كمال ، ومن المميزات التي أجمع عليها مقدمو
 الكتاب الإحاطة في التنظير، والاجتهاد في التنزيل، بالإضافة إلى واقعية القضايا
 لمدرسة، واعتبر . الريسوني أن "المقاصد الجزئية" من الكتب التي تشكل "
 جديد، وطلیعة جیل جدید من المفكرين والبنائين المقاصديين؛ إنه جيل التنزيل والتفعيل
 لمقاصد الشريعة وأصولها"¹.

حيث لم
 يسبق أن أُفرد موضوع "المقاصد الجزئية" عمل على جمع
 شتات نظرية المقاصد الجزئية تنظيراً وتطبيقاً، ويقع في مقدمة وستة فصول، ثم ملحق

أولاً: ماهية المقاصد الجزئية وطبيعتها:

عرّف المؤلف في أول فصول كتابه المقاصد الجزئية بأنها "ما قصده الشرع من مصلحة
 تجلب أو مفسدة تدفع في كل حكم من الأحكام الشرعية الجزئية العملية، ويكون له تأثير
 في توجيه ذلك الحكم"² . ومما يعترض به على هذا التعريف افتقاده شروط التحديد إذ إنه
 مات المعرف، فأدرج " " "الجزئي" في التعريف.

"المقاصد الجزئية" بالألفاظ
 المصلحة والمناسب والمعنى والحكمة والعلة، لينتقل بعد ذلك إلى
 الأحكام الجزئية
 ئية، بالقول إن "
 يمكن أن يكون جزئياً، ويمكن أن يكون خاصاً، ويمكن أن يكون كلياً، ويمكن أن يكون
 عاماً، ويحقق هذا كله مفهومًا . من المقاصد العالية التي تشمل الأمة

1 . أحمد الريسوني : المقاصد الجزئية 25.

2 المقاصد الجزئية: ضوابطها، حجيتها، وظائفها، أثرها في الاستدلال الفقهي 56.

وما خلص إليه المؤلف هو الذي ذهب إليه غير واحد من أهل
رد في الشريعة أصولاً ، ا ، جملةً الشاطبي:
" ا استقرينا من الشريعة أنها وضعت لمصالح العباد استقراءً لا ينازع ف
الرازي ولا غيره فنحن نقطع بأن الأمر مستمر في جميع تفاصيل الشريعة"¹
القرابي: "التعبّد معناه أذّ" وليس معناه
2"

رابعاً: مسالك الكشف عن المقاصد الجزئية:

في رابع فصول الكتاب عن طرق الكشف عن المقاصد الجزئية،
كشف فيه عن خطورة إثباتها وصعوبة تحديدها، وأرشد إلى أهم من تحدث في
المسألة نحو الشاطبي وابن عاشور ود. نعمان جعيم، لينتقل بعد ذلك لسرد أهم
طرق الكشف عن المقاصد الجزئية ومنها: النصّ المفرد، أي النظر في كل نص على
حدة، ثم ا
بالقرائن التي تحفّ بالنصّ، أو النظر في خلاف الفقهاء وأدلتهم وأنظارهم، أو جمع
نصوص أخرى إلى النص المراد البحث عن مقصده أو غير ذلك، وختم الفصل
بالمقارنة بين مسالك الكشف عن العلة والمقاصد الجزئية مؤكّداً
الكشف عن العلة تصلح لأن تكون آليات للكشف عن المقاصد الجزئية،
مقصداً إلا في مسلك المناسبة التي هي المصلحة الصالحة غالباً
للكم الشرعي الجزئي العمل .

¹ الشاطبي، أبو إسحاق الموافقات () : (1 1997)

² القرابي، شهاب الدين الذخيرة، تحقيق محمد حجي (بيروت: دار الغرب، 1994) 1 335.

خامساً: ضوابطُ اعتبار المقاصد الجزئية وحجيتها

"ضوابط اعتبار المقاصد الجزئية ومدى حجيتها"

وبعد أن سرد هذه الضوابط عند جمع من أهل العلم على اختلافها وتباينها أحياناً أهمّ الضوابط في: لك الكشف عنه، وأن يكون ظاهراً ومنضبطاً ومطّرداً، وألا يتعارض مع مقصدٍ أعلى منه، وألا يعود الجزئي على الكليّ بالإبطال وهنا يتساءل القارئ:

الجزئية؟ إذ إن الناظر في كتب الضوابط، نحو كتاب " صلحة في الشريعة الإسلامية"

" للدكتور عبد القادر حرز الله أو غيرها، سيجد

هذه الضوابط ، فما ميزة المقاصد الجزئية من حيث الضبطُ

ظهر المقاصد الجزئية

و جزئية، تنبع من حجية مصادرها، فإذا كان المصدرُ عاماً أو كلياً، والمصدر هو

جزئية

وفي آخر الفصلِ ذكرَ بعض آثار ضبط المقاصد الجزئية منها؛ إخراجُ المكلف من داعية هواه، وحماية المقاصد من التشويه والتحريف، ووضع ميزانٍ للتعامل مع تراحم المقاصد وغيرها.

صد الجزئية

وضبط حجيتها وترشيد العمل بها، ويكون الترجيح بينها -
متعددة؛ بالنظر إلى قوة الثبوت، وقوة الأثر، وعموم الأثر سواءً كان مكانياً أو

1.

سادساً: وظائف المقاصد الجزئية

وظائف المقاصد الجزئية

الوظيفة، ثم سردَ الوظائف العامة نحو العمل بيان خلود الشريعة وصلاحيتها، والتسديد في الفقه والفتوى، وتوسيع أوعية الاجتهاد وكذا التوسط في الاجتهاد وغيرها، بالإضافة إلى بعض الوظائف الخاصة نحو نوط الحكم بها، وأهميتها في إجراء وإبطال الحيل والترجيح عند الاختلاف وغيرها من الوظائف الخاصة التي ذكرها في ، وهذه الوظائف من حيث الجملة، هي عينها وظائف المقاصد، لكنها أكثر تدقيقاً لأنها مرتبطة بالمقاصد الجزئية.

! ، جمع فيه ع

: توسيع وقت رمي الجمرات، ثم التسويق الشبكي، وزواج المصلحة، وحكم المرتد، وأخير التظاهرات السلمية، حيث قدم معالجةً لهذه المسائل تجمع بين الكلبي والجزبي.

وفي الأخير ذكرَ ت مجموعةً من النتائج التي خلص إليها في كل إلى عدد : النظر نحو القرآن والسنة لدراسة المقاصد الجزئية استخراجاً وبحثاً، وكذا إعادة صياغة الفقه الإسلامي صياغةً بلغة العصر تبين الدليل وتكشف المقاصد لإضافة إلى في الحياة العامة حتى

فهذه هي أهم ملامح الكتاب وفيها جمع للمتفرق في أدبيات الأصول والمقاصد، بالإضافة إلى تفعيل النظر المقاصدي في عدد من النوازل المعاصرة سواء في فقه نحو توسيع وقت رمي الجمرات، أو فقه الأسرة نحو زواج المصلحة، أو فقه المعاملات نحو التسويق الشبكي، أو الفقه الجنائي نحو حكم المرتد، أو الفقه السياسي الشرعي نحو

التظاهرات السلمية، ويبقى مجال تفعيل النظر المقاصدي مفتوحاً
دة النظر في عدد من القضايا القديمة من زاوية مقاصدية جديدة، تروم

فمن مجالات التفعيل المقاصدي الحفر المعرفي في التراث الفقهي بغية مراجعة عدد

أن يتأسس بمنأى عن المقاصد، بالإضافة إلى ضرورة الاستنجد بها في تجديد أصول
الفقه، وذلك بعد تأسيس منظومة المقاصد العليا الحاكمة، والتي ستغدو، كما يقول د.
طه العلواني، "المنطلق الأساس لإعادة بناء قواعد أصول الفقه، وتجديدها، ولبناء الفقه
الأكبر علي" ¹.

"المقاصد الجزئية"، فإن الحاجة اليوم ملحة لجمع
أطراف نظرية " ، والعمل على التحسير بين الجزئي والكلبي، في شكل
نظرية متكاملة المعالم والأركان.

كما تبقى الحاجة ملحة إلى بحث

وكذا تعميق النظر المقاصدي في مجالات العقائد والأخلاق بالموازاة مع النظر الاجتهادي

وعمي معرفي مقاصدي يعم مختلف ميادين المعرفة الإنسانية، بل تغدو المقاصد آلية
في التصنيف والتفسير والتحليل، حتى تخرج من ضيق الاجترار والتكرار، إلى فضاء
الإبداع والابتكار،

¹ العلواني، طه جابر نحو التجديد والاجتهاد: مراجعات في المنظومة المعرفية الإسلامية () :